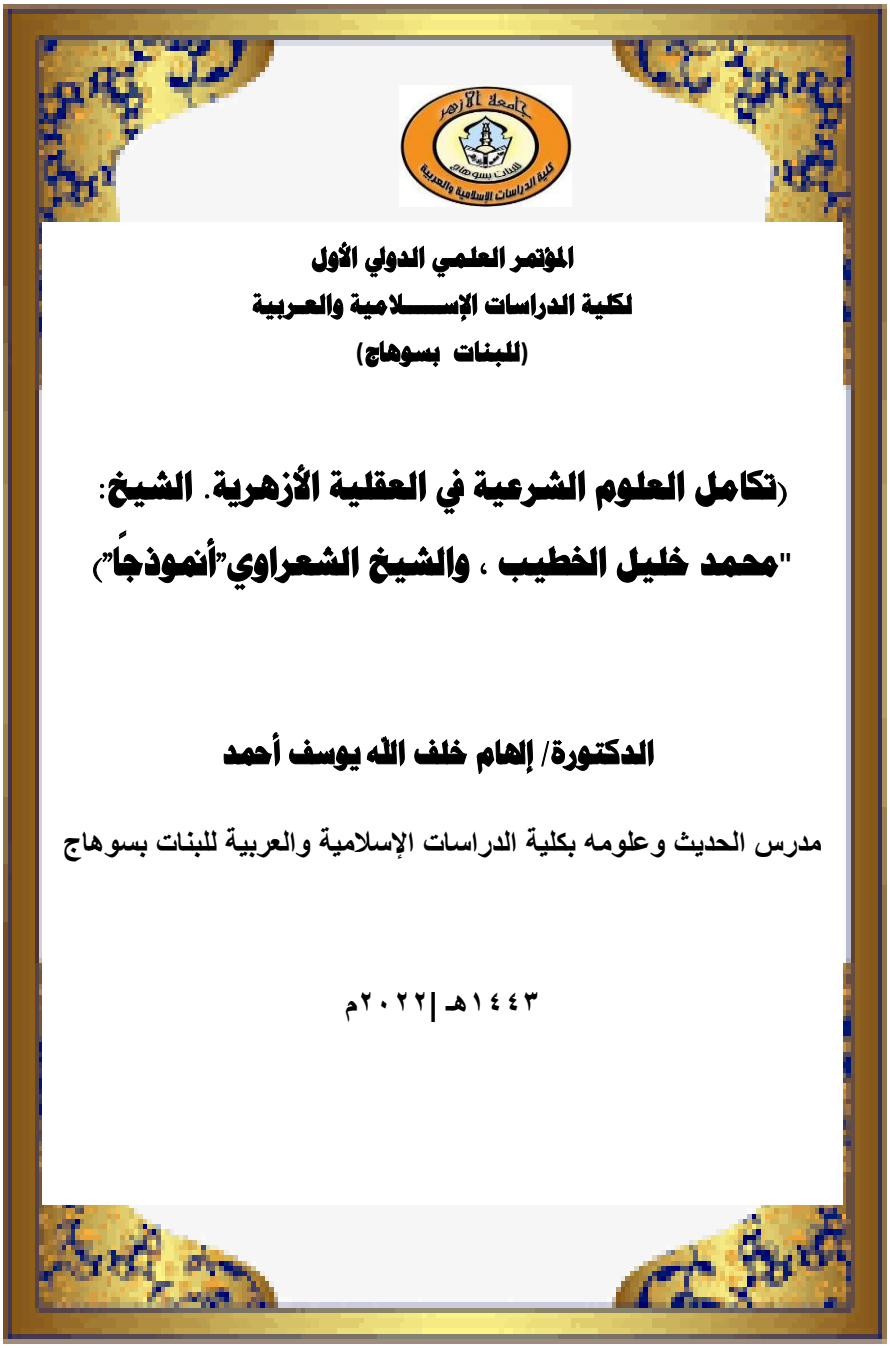

المؤتمر العلمي الدولي الأول

لكلية الدراسات الإســـــلامية والعـربية

(للبنات بسوهاج)

(تكامل العلوم الشرعية في العقلية الأزهرية. الشيخ:

"محمد خليل الخطيب ، والشيخ الشعراوي"أنموذجاً")

الدكتورة/ إلهام خلف الله يوسف أحمد

مدرس الحديث وعلومه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

١٤٤٣هـ |٢٠٢٢م

الاسم: إلهام خلف الله يوسف أحمد
الجنسية:مصرية
رقم الهاتف المحمول : الواتس (٠١١٤٦٥١٠٩٨١)- ٠١٠٠٩٠٧٥٣١٤
البريد الإلكتروني elhamyusuf.79@azhar.edu.eg

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، ورضي الله عن صحبه الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد: فقد وفقني الله تعالى لإنجاز بحث متواضع عنونته (تكامل العلوم الشرعية في العقلية الأزهرية) الشيخ / محمد خليل الخطيب، والشيخ /"محمد متولي الشعراوي. "أنموذجا"

ولما كان من أهداف هذا المؤتمر المبارك: بيان أثر العلوم التي تدرس بالأزهر في بناء فكر إسلامي معتدل ، جاء بحثي هذا ، وقد تناولت في مقدمته التأصيل لقضية علاقة الإنسان بالعلم ، وإلى أي مدى يمتد ذلك، ثم تحدثت عن خريطة العلوم الشرعية وعلاقة دوائر العلوم المختلفة بعضها ببعض ، وكيف أن العلاقة بين تلك الدوائر وطيدة ، ولا يمكن استغناء بعضها عن بعض لفهم مراد الشارع الحكيم من نصوص الشرع الشريف.

كما أوضحت أن الأزهر الشريف والذي هو أعرق مدرسة علمية في عصره منذ إنشائه وحتى يومنا هذا ، قد اهتم أيما اهتمام بتدريس العلوم العربية والعلوم الشرعية على حد سواء لإخراج عقلية متوازنة في فهم الوحيين الشريفين (القرآن والسنة) .

ثم ضربت لهذا التكامل المعرفي بين دوائر العلوم الشرعية والعربية أنموذجان لأحد أبرز عالمين في تاريخ الأزهر –الشريف – تناولت فيهما ترجمة صاحبيها بشئ من التفصيل باعتبارهما أبرز وأوضح من خدم كتاب الله–القرآن الكريم– وسنة رسوله الكريم في العصر الحديث ، حتى لقيا ربهما وهما مجاهدين في تحصيل العلوم الشرعية واستكمالها ، ثم نشرها من خلال ما أنتجاه من مؤلفات ، وبحوث مستفيضة.

وقد سبق الترجمة لهما التعريج على ذلك العالم الفذ في عصره الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي ت (٩١٤هـ)باعتباره أحد أبرز العلماء الموسوعيين الذين اكتملت لديهم أدوات فهم النص بما تحمله الكلمة من معنى ، مما أبقى على مؤلفاته ثرية بالبحث والخدمة حتى عصرنا هذا.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، القائل في محكم التنزيل: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾.(١)، والمرسل كل رسول بلسان قومه ، فقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُوَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢)

والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، وقائد الغر المحجلين ،والقائل سبحانه في مدحه-عليه الصلاة والسلام- ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ. وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ. وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٣)

ورضي الله عن آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعن صحابته الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد:

فإن علاقة الإنسان بالعلم لهي علاقة أزلية تمتد جذورها إلى سيدنا آدم -عليه السلام- في قصة خلقه ، حينما أخبرنا رب العزة سبحانه أنه أول من ألقى العلم إلى آدم-عليه السلام- قال تعالى:﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ

---

١) سورة القلم- آية (١).

٢) سورة ابراهيم - آية ٤

٣) سورة القلم- من آية (١- ٤).

بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (١)

وبعد مرور أحقاب من تاريخ البشرية وعقب هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض، مرور بسائر الأنبياء والمرسلين وتبليغ كل نبي دعوته إلى قومه، ووصولا إلى خاتم الأنبياء والمرسلين وقد أدرك الإنسان حاجته إلى العلوم المختلفة منذ القدم فتجده قد اشتغل بعلوم ومعارف متعددة الاتجاهات ومترامية الأطراف وما أن اختتمت الرسالات الإلهية برسالة سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد –عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم– حتى أدرك الإنسان المسلم تحديدا حاجته الماسة إلى التركيز على علوم بعينها بحسب ما منحه الله من مواهب وملكات، فانضافت إلى العلوم التجريبية التي كان يعرفها قبل الإسلام ذلك الكيان الأعظم والأهم بين سائر تلك العلوم ألا وهي العلوم المتعلقة بالوحيين الشريفين القرآن والسنة

وإن الناظر بعناية إلى أول آيات نزلت على سيد المرسلين من فوق سبع سماوات ليجد أنها قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ .خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(٢)

ليستطيع أن يقرر من خلالها مدى عناية رب العالمين بعملية التعليم حيث بدأ خكابه لخاتم رسله بالأمر بالقراءة والامتنان على الإنسان بتعليمه ما لم يكن يعلم وهنا ملمح دقيق بين أول خطاب لأول نبي على ظهر البسيطة وهو أبونا آدم–عليه السلام– أبو البشر وبين خاتم الأنبياء والمرسلين

---

١) سورة البقرة – الآيات ٣١–٣٣

٢) سورة العلق–الآيات من (١– ٥).

ورحمة الله تعالى للعامين سيدنا محمد-عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- ، ألا وهو علاقة الإنسان بالعلم والعملية التعليمية.

(إن التعليم لهو أحد الميزات الرئيسة التي يتميز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات ، وهو العامل الأساسي في ترقي الأمم، وتهذيب الأخلاق، ولا يمكن لأمة من الأمم أن تعلو درج الحضارة دون أن يكون لديها مناهج تعليمية قوية قادرة على التغيير الفعلي في المتعلم، ولذلك كان إعداد المناهج التعليمية أخطر الأمور التي ينبغي أن تحرص عليها الأمم أكثر من حرصها على أي شئ آخر)[١] والإسلام في حد ذاته عملية تعليمية كبرى تعنى بتقويم العقائد والأفكار وتهذيب الأخلاق وتزكيتها

وإذا أردنا في نقاط واضحة أن نستعرض أبرز العلوم التي اهتم بها المسلمون حتى يومنا هذا فإننا نستطيع تقسيمها كالآتي:

أولا: العلوم الشرعية: وتشمل القرآن الكريم وعلومه، والحديث الشريف وعلومه، والتفسير وعلومه ، والفقه.

ثانياً: علوم (اللغة) العربية: وتشتمل على علم النحو ، والتصريف ، وعلم الأدب، وما يندرج تحتهما من علوم. وكذا اهتم المسلمون باللغات الأخرى ، وترجمتها.

ثالثا: العلوم الاجتماعية: وتشتمل على علم التاريخ والجغرافيا .

رابعا: العلوم الطبيعية: وتشتمل على علم الفيزياء ، والكيمياء ، والرياضيات

---

١) المدرسة الأزهرية أصولها وخصائصها وآدابها، تأليف: الأستاذ الدكتور /رشوان أبو زيد محمود، أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر، ط/ دار الإمام الرازي /ص٥/

خامسا: علم الفلك: ويهتم هذا العلم برصد النجوم لارتباكه بالأمور الشرعية.
سادسا: علم الطب والصيدلة ، وهو يهتم بصحة الإنسان البدنية.
فإذا دققنا النظر في العلوم المتعلقة بالوحيين الشريفين(علوم الدين) فقد قام علماء المسلمون بتقسيمها ، فيما يسمى بخريطة العلوم الشرعية، على نحو أكثر وضوحا، كما يأتي:
أولًا: علوم المصادر ويقصد بها (القرآن الكريم وتفسيره ، والسنة وشروحها).
ثانيًا: علوم المقاصد ، ويندرج تحتها علوم: (العقيدة ، والفقه ، والتزكية- السلوك والأخلاق-)
ثالثًا: علوم الآلة وهي: (أصول التفاسير ، ومصطلح الحديث ، واللغة العربية، وأصول الفقه ، والقواعد الفقهية).
رابعًا: علوم مساندة كعلم التراجم.
ومن ذلك التقسيم الأخير للعلوم الشرعية طبقًا لنظرة علماء المسلمين ، ندرك مدى وطادة العلاقة بين دوائر العلوم الشرعية ، وذلك لأن فهم النص سواء القرآني أم النبوي متوقف على الإلمام بأسسها بل والتمكن من أدواتها
والنصوص الدالة على فضيلة التعلم وأهمية طلب العلم في الشريعة الإلهية أكثر من أن تحصى
وهنا سأسرد في صفحات يسيرة كيف امتزجت العلوم الشرعية وتتابعت منذ نزول آخر وحي من السماء إلى خاتم الأنبياء والمرسلين حتى وصلت إلى مرحلة التكامل في عقلية طالب العلم الأزهري مما نشأ عنه علماء أفذاذ في شتى مجالات العلوم الشرعية بل وأثمرت تراثًا علميًا هائلًا أسهم في بناء عقول أجيال من طلبة العلم قديمًا وحديثًا كما أثرى المكتبة العلمية الإسلامية بمئات الكتب

والمؤلفات الجديرة بالعناية بها والاهتمام.

***خطة البحث:**

قمت بتقسيم هذا البحث المتواضع – والذي عنونته (تكامل العلوم الشرعية في العقلية الأزهرية) الشيخ: محمد خليل الخطيب ، والشيخ: محمد متولي الشعراوي "أنموذجا" – إلى مقدمة، وثلاثة مباحث ، وخاتمة

أما المقدمة ، فقد تناولت فيها عرضًا تاريخيًا لعملية التعليم كأساس ومبدأ في منظومة الفكر الإسلامي بل من أولى أسسه وأهم دعائمه منذ بدء الخليقة وحتى العصر الحديث ، كما تناولت بالذكر الأصول التي اعتمد عليها الأزهر الشريف – كأعرق مدرسة علمية في تاريخ العالم الإسلامي – في تعليم طلابه وتخرجهم عليه، مع عرض موجز لأهم دوائر العوم التي يتبنى الأزهر الشريف تعليمها لطلابه، كما ضربت مثالًا لتكامل العلوم الشرعية في عقلية الإمام الفذ جلال الدين السيوطي، بين علماء عصره.

وأما المباحث فجاءت على النحو التالي:

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن نشأة الأزهر وتطوره ورعايته لأصول العملية التعليمية وتنميتها لتناسب عقول طلبة العلم وقت إنشائه وحتى فترة ليست بالبعيدة ، ودوائر العلوم التي اعتنى بتدريسها الأزهر الشريف .

المبحث الثاني: الشيخ محمد متولي الشعراوي "أنموذجا" لتكامل العلوم الشرعية في خدمة القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الشيخ محمد خليل الخطيب "أنموذجا" لتكامل العلوم الشرعية في خدمة السنة النبوية.

الدراسات السابقة:

تناول عددًا من علماء الأزهر قديمًا وحديثًا جوانبا متشعبة من هذا الموضوع بالكتابة والتأليف ، أذكر من ذلك:

- الأزهر في ألف عام للدكتور/أحمد محمد عوف- ط/ مجمع البحوث الإسلامية
- الأزهر في اثني عشر عامًا ، لفضيلة الدكتور/ محمد عبد الله ماضي ، وكيل الأزهر
- المدرسة الأزهرية أصولها وخصائصها وآدابها لفضيلة الأستاذ الدكتور: رشوان أبوزيد محمود- حفظه الله-، أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر.
- وأخيرا جمهرة علماء الأزهر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين، لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أسامة السيد محمود الأزهري-حفظه الله- أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر.
- قصيدة بعنوان: (الأزهر يتحدث عن نفسه)، لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أسامة السيد محمود الأزهري.

وقد نسج تلك القصيدة فضيلة الشيخ إظهارا للوفاء للأزهر الشريف ، وكأنه أفصح فيها عن مناهجه التعليمية العريقة التي قام بها، على مدار ألف سنة، صقلت فيها مناهجه، وتخرج فيها الأكابر من أروقته.

وقد اقتطفت بعض أبيات منها في بعض مواضع من البحث لإثرائه وتدعيم ما أسوقه من معلومات .

أسباب اختيار الموضوع :

أولًا : طغيان فكرة التخصص على عقول كثير من الباحثين والباحثات والدارسين والدارسات حتى نشأ عن ذلك قصور في استيعاب كل صاحب تخصص للفرع

الذي تخصص فيه قرينه أو أستاذه في الفرع الآخر.

ثانيًا : نشوء خلافات عريضة ولا حصر لها بين أهل العلم من أصحاب الفروع العلمية المختلفة ظاهرا لكنها ترجع في الحقيقة إلى أصل واحد، وما هذا إلا لعدم تعمق كلا الباحثين في ما تعمق فيه الآخر فكانت الحاجة ماسة إلى تذكير طلبة العلم المعاصرين بما كانت عليه مناهج الأزهر الشريف في عهده الأول من امتزاج لتلك الفروع واستكمال بعضها لبعض.

ثالثًا : تركيز طلبة العلم على فروع تخصصهم وإهمال غيره من الفروع حتى لتجد معرفة كل طالب بالحد الأدنى من هذا العلم غير متوفرة لديه في حاضرة ذهنه أو قديم ذاكرته ، فأردت بهذا البحث أن ألفت الأنظار إلى صواب ما كان عليه المنهج الأزهري قبيل نشأة الأزهر الشريف وحتى فترة ليست بالبعيدة خرجت لنا علماء أفذاذ في مجال العلوم الشرعية بل وغيرها من دوائر العلوم الإنسانية المختلفة، لكنها كلها مرتبطة ببعضها البعض.

رابعًا : امتنانا للمولى عزوجل لتوفيقه إياي أن أكون إحدى طالبات العلم اللاتي تلقين مراحل تعليمهن المختلفة داخل تلك المؤسسة العريقة، وهذه نعمة قد حرم منها كثير من طلبة العلم على كافة المستويات، فكان أحد أهم أسباب إسهامي بالكتابة في هذا الموضوع بمثابة الاعتراف بالجميل لتلك المؤسسة العريقة وعلمائها الأجلاء في كل عصر ومصر. بإشاعة ذكر أهل الفضل منهم، وقبل ذلك الإشادة بمنهجه العلمي الرصين وحراسته لشعائر الإسلام.

خامسًا: وضع يد القارئ الكريم على مكانة الأزهر الشريف –حرسه الله وصانه– كأعرق مدرسة علمية حملت العلوم الإسلامية وتناقلتها عبر قرون من الزمان داخل عقول خريجيه جيلا من وراء جيل ، مؤكدة أنه حامل لواء الإسلام وكعبة

العلوم الشرعية الشريفة على مستوى العالم الإسلامي بأسره.

سادسًا: معرفة أقدار عدد من العلماء الذين اكتملت لديهم أدوات فهم النص سواء القرآن الكريم أم السنة المطهرة.

فأقول وبالله التوفيق

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن نشأة الأزهر وتطوره وإحتضانه لأصول العملية التعليمية وتنميتها لتناسب عقول طلبة العلم وقت إنشائه ، ودوائر العلوم الشرعية التي يتبناها الأزهر الشريف ، وكيف حافظ على تلك الأصول.

توطئة:

إن الأزهر الشريف – حرسه الله وصانه– ليعد من أجل الآثار التي خلفتها الدولة الفاطمية خلال تاريخها عبر القرون ، فقد أمر المعز لدين الله الفاطمي قائد جوهر الصقلي، بعد إنشاء القاهرة، بإنشاء الجامع الأزهر، فأرسى قواعده في ٢٤ من جمادي الأولى سنة ٣٥٩هـ،(٩٧٠م)، وصليت فيه أول جمعة في ٧ من رمضان سنة٣٦١هـ

وقد أنشأ الفاطميون الجامع الأزهر، ليكون المسجد الرسمي الجامع للقاهرة العاصمة الجديدة ، أسوة بالجامع الطولوني بالقطائع، وبجامع عمرو بالفسطاط ..وقد عرف الجامع الأزهر ، في أول الأمر باسم "جامع القاهرة" ثم سمي باسمه الحالي، نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء، بنت رسول الله– صلى الله عليه وسلم– والتي تنسب إليها الدولة الفاطمية، أو لعل هذا الاسم نسبة إلى كوكب الزهرة، وكان يزمع إطلاق اسم الزهراء على مدينة القاهرة).. إلى أن قال: (وقد عني سلاطين المماليك، وأمراؤهم، وغيرهم، في مختلف العهود بإنشاء الأروقة العديدة منها أروقة الطيبرسية والأقبغاوية والأكراد والهنود والبغداديين والمغاربة والجاوة والشوام والدكارنة والصعايدة والبرابرة والشراقوة والحرمين وغير ذلك من الأروقة التي ضمت الكثير من طلاب البلاد الإسلامية في مختلف

العهود) [١]

وإنني وإن كنت في السطور اليسيرة السالفة قد تناولت بالحديث ما يتعلق بتاريخ عمارة الجامع الأزهر، فإنه لا يفوتني فيما هو آت أن أتكلم عن تاريخ بناء الفكر فيه وبزوغ شمس المعارف في أروقته.

لقد سجل التاريخ شهادات أهل الفضل والعرفان لتلك المؤسسة العريقة بأصالتها وتمكنها في تخريج العلماء

يقول مصطفى صادق الرافعي: (إن الأزهر الشريف لهو مفخرة مصر والشرق وهو قلب الإسلام الخافق ، ولسانه الناطق، هو تلك الجامعة التي أضفى عليها الزمان ثياب الجلال ، وأسبل عليها الخلود ستور الجمال، فحفظت للإسلام مكانتة، ورفعت للدين رايته، تخرج منها أئمة الهدى ومصابيح الدجى وشعت منها الأنوار في كل بقعة ومكان)

ويقول الدكتور طه حسين: (إن الأزهر لم يكن مشرق النور في عصورنا القديمة وحدها وإنما هو مشرق النور في العصر الحديث)

قال صاحب المدرسة الأزهرية: (لقد اعتمدت العملية التعليمية منذ عهد النبيﷺ على قواعد أساسية ثابتة، أهمها:التلقي عن الشيخ ، والكتاب المعتمد ، والتواصل بين الشيخ والطالب، والتربية، فكان الصحابة ﷺ يتلقون أوامر الشرع الشريف عن كريق الوحي الإلهي بشكل مباشر، وكان كتابهم القرآن الكريم ، وكانوا يفهمونه في ضوء شرح النبي ﷺ له، وكان النبي ﷺ يتعهدهم بالرعاية والعناية ، ويلاحظ تطبيقهم لما تعلموه، فيقوم بتحفيظهم عددا معينا من الآيات ،

---

١) الأزهر في اثني عشر عام ، لفضيلة الدكتور/ محمد عبدالله ماضي . ص ١١

لا ينتقلون منه إلى غيره حتى يعملوا به، وقد بلغ التواصل بين النبيﷺ وبين صحابته مبلغه ، فكانوا لا يتركونه في حل ولا ترحال، ويتتبعون كل كبيرة وصغيرة في حياته، رداء الاقتداء الكامل به) [١]

ثم صار بعد ذلك عدد من كبار الصحابة من كبار الفقهاء ، فصاروا هم مرجع الأمة ومعلمها بعد النبيﷺ، فكانت حلقات العلم في مجالس مكة والمدينة والبصرة والكوفة والشام ومصر وغيرها ممتلئة بالطلاب ..يتعاملون مع الصحابة كما كان يتعامل الصحابة مع النبي ﷺاقتداءا وملازمة..ثم ظهر في هذه الفترة ما عرف فيما بعد بالمذهب ، فكان بعض التابعين يتخصص في الأخذ عن صحابي معين حتى يعرف بأنه راوية عمر، أو ابن مسعود، أو ابن عباس مثلا وهو الأصل الذي اعتمد عليه العلماء فيما بعد لإجازة تقليد مجتهد معين) [٢]

(وإذن فقد ظهرت في هذه الآونة أصول عملية التعلم من :الشيخ القدوة، والتلميذ الراغب في التعلم ، والمنهج المتمثل في الكتاب المعتمد ، والمذهب الفقهي، والحرص على التربية الروحية والسلوكية مع تهذيب وترقية العقول.

وبحلول زمن أتباع التابعين بدأ التخصص العلمي يظهر بشكل واضح، فكان من هؤلاء من تخصص في إقراء القرآن، ومنهم من تخصص في رواية الحديث ، أو تعليم الفقه والأحكام، ومنهم من جلس للتربيه والرقائق،ومنهم من جلس لتعليم اللغة والأدب، وجل هؤلاء كانوا يتقنون سائر علوم الشرع الشريف، وإنما اختار كل منهم المجال الذي زاد نبوغه فيه عن أقرانه، وظهر الأئمة الأربعة

---

١) المدرسة الأزهرية ص ٥٥

٢) المدرسة الأزهرية ص ٥٦ بتصرف يسير

الذين أسسوا المدارس الفقهية الأربعة لأهل السنة ، وظهر غيرهم من المجتهدين معهم، لكن عوامل معينة ساعدت على استمرار فقه الأئمة الأربعة على هيئة مدارس كبرى دون غيرهم.

ولم تكن المنازعات العقلية في مسائل الاعتقاد قد ظهرت ظهورا تتشكل منه مدرسة ما، فلما ظهرت المعتزلة أوجدت طريقا آخر لفهم مسائل الاعتقاد غير الطريق المعتمد عند جمهور المسلمين، ومن ثم خالفوا في مسائل، وكانت المناقشات بينهم وبين أكثر أهل السنة غير ذات جدوى، لأن المعتزلة طريقهم العقل فقط، وكثير من أهل السنة – في ذلك الوقت– طريقهم النقول فقط، وما كانوا يحبون المناقشات الكلامية في مسائل الإعتقاد ..حتى انبرى لتلك المهمة– الجمع بين العقل والنقل –الإمام أبو الحسن الأشعري ، فلم يعد للمعتزلة حجة فيما يقولون ، ونصر مذهب أهل السنة نصرا مؤزرا، حتى سماه أكثر من جاء بعده بإمام أهل السنة والجماعة، وكان يعاصره الإمام أبو منصور الماتريدي ، وكان يوافقه في منهجه في الجمع بين العقل والنقل، وقد تبع هذين الإمامين جمهور أهل السنة بعد ذلك..

وعلى ذلك فقد صار أهل السنة في الفقه على المذاهب الأربعة في الفقه، وفي الإعتقاد على مذهبي الأشعري والماتريدي وكل هذا ولم يكن قد انقضى القرن الرابع وكان الطالب في هذه الفترة يدرس القرآن الكريم وتفسيره والحديث وعلومه، والفقه وأصوله ، والحديث وعلومه، واللغة: نحوًا وصرفًا وبلاغة وأدبًا، ويقرأ القرآن بالقراءات ، ويدرس علم العقيدة وكانوا في دراسة علم الكلام، وعلم المنطق على مدرستين مدرسة قبلت بشروط ومدرسة منعت تمامًا ولا يكاد يخلو عالم من علماء القرن الرابع الهجري وما بعده من إتقان ودراسة

جملة هذه العلوم..ومنذالقرن الأول الهجري ظهر من علماء التابعين من غلب عليه التذكير بالآخرة ، وترقيق القلوب ووعظ الناس أأمثال الحسن البصري ..ثم كان من تلاميذ الحسن من يتكلم في الخواطر والمواجيد ، ويمهر تربية الناس على الزهد والطاعة حتى نضج هذا العلم على يد الإمام الجنيد الذي صار شيخ التربية في عصره

ومن بعد الجنيد–رحمه الله– اهتم فريق من العلماء بتزكية النفوس وتربية الناس مع اعتمادهم على العلوم الشرعية النظرية ومن هنا ظهر التصوف الإسلامي،.. وتفنن المربون في طرق التربية، مع وقوف أكثرهم عند حدود الشريعة لا يخالفونها، وقد يجتهد بعضهم في التربية فيخطئ شأنه شأن الناظر في الفقه أو فروع الإعتقاد ، أو حتى في علوم اللغة ، فكل مجتهد قد يخطئ فله الأجر أو يصيب فله الأجران) [١]

وبهذا العرض الموجز فقد وضح للقارئ الكريم كيف تطورت العلوم الشرعية من مجرد الكتاب والسنة فقط، إلى علوم مساعدة وموصلة للفهم الصحيح لنصوص الوحيين الشريفين جعلت من الضرورة بمكان حتمية دراستهما معًا.

ثم أنتقل إلى الغرض الرئيس من هذا المبحث، وهو كيفية حفاظ الأزهر الشريف على أصول العملية التعليمية لتظل انعكاسا لصورة العلم الشرعي في منظومة الفكر الإسلامي.

يقول صاحب كتاب المدرسة الأزهرية : (بعد مجئ صلاح الدين الأيوبي، وحكمه

---

١) المدرسة الأزهرية ، لفضيلة الأستاذ الدكتور/ رشوان أبو زيد محمود ، ص ٥٦ – ٥٩ باختصار

لمصر، وطرده للصليبيين، أسس في مصر مدارس علمية لتعليم منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة والفقه والتصوف ، وسائر العلوم، ثم انتقلت هذه العلوم إلى الأزهر الشريف بعد افتتاحه على منهاج أهل السنة، وظل الأزهر خلال مئات الأعوام الحافظ الرئيسي لعلوم الإسلام، وللمنهج العلمي الشرعي..)[١]

وقد كان المنهج العلمي المستقر في تعليم العلوم الشرعية يعتمد على دراسة العلوم الإثنى عشر المكونة للعقلية العلمية الشرعية ، وهي : (التفسير، وعلوم القرآن، والحديث، وعلوم الحديث، والفقه، وأصول الفقه، والتوحيد ، والمنطق، والنحو والصرف والبلاغة والأدب ، ونستطيع أن نقول إجمالًا: علوم(الأصول ، والشريعة ، واللغة) [٢]

وكانت تلك العلوم تدرس في حلقات العلم بالأزهر الشريف ، وكان كثير من العلماء مشايخ مربين يقومون بتعليم التلاميذ وتربيتهم، وكان التواصل بين المعلم والمتعلم في أعلى درجاته ، حتى تم تخصيص أماكن لإقامة طلبة العلم المغتربين والمنقطعين للتعلم ، عرفت بالأروقة الأزهرية ، لأن عملية التعليم كانت تستوعب السنة كلها عدا شهر رمضان الكريم وشهرًا قبله أو بعده. [٣]

(وقد كانت تلك الفترة فترة إستقرار وإتقان للعلوم- لا ركود وجمود كما وصفها بعض الكتاب المعاصرين- وبدأت تظهر المراحل التعليمية أو المستويات التعليمية المختلفة ، ووضعت المؤلفات التي تناسب كل مرحلة، فكان للمرحلة

---

١) المدرسة الأزهرية ص ٦١ باختصار

٢) المدرسة الأزهرية ص ٣١ بتصرف

٣) المصدر السابق ص ٦١

الأولى المتون، وللمرحلة الثانية الشروح، وللمرحلة الثالثة والأخيرة الحواشي والتقريرات.

وقد كتبت المؤلفات في تلك الفترة بأسلوب علمي عال، يصعب على عامة الناس فهمه، وقصد العلماء بذلك أن يكون مرجع الناس هو العلم لا الكتب، وأن يضنوا بالعلم على غير أهله.

ولطريقة المتن والشرح والحاشية فوائد عظيمة لا تخفى ، من أهمها: حفظ النصوص، وتقرير أفهام العلماء ، والتفرقة الدقيقة بين أقوالهم، وجمع ما يتعلق بالموضوع الواحد في محل واحد

وتلك الطريقة–المتن والشرح والحاشية– لهي من أدق أساليب التكوين لعقلية طالب العلم الشرعي

وقد ظهرت تلك الطريقة في العصور المتأخرة لعلاج خلل في القدرة العقلية على دقة الفهم، فمثلها مثل علوم الحديث التي لم يكن الصحابة ﷺ بحاجة إليها ، لأنهم كانوا يتلقون مباشرة عن النبيﷺ ، فلما تعددت الوسائط بين السامع وبين النبي ﷺ ظهرت الحاجة إلى علم يحدد ما يقبل وما يرد من الروايات، فكان علم الحديث، ومثلها أصول الفقه الذي لم يكن موجودا في عصر الصحابة ، ولا التابعين ، ولا أتباعهم، حتى ظهر الخلل في كيفية فهم الأدلة الشرعية، وكيفية الترجيح بينها إذا ما تعارضت ظاهرًا، ومن ثم ظهرت الحاجة إلى علم أصول الفقه، فألف الشافعي رسالته المشهورة، ومثله أيضا مثل علم النحو ، حيث لم يكن معروفا في عهد النبيﷺ فلما ظهر اللحن في لسان العرب فاقتضى الأمر

استحداث علم النحو لحفظ اللسان العربي عن اللحن والخطأ)[١].

إن الحاجة ماسة في تلك الآونة الأخيرة إلى العودة إلى هذا المنهج- المتن والشرح والحاشية- مع ما يغلب على عقول طلبة العلم من أبناء المسلمين من ضحالة الفكر ، وضعف القريحة ، وسطحية الفهم ..ولا يستطيع في رأيي أن يرد تلك العقول إلى عمق التفكير مع الدقة والتحليل إلا العودة إلى هذا المنهج بمراحله التعليمية المختلفة) [٢].

إن جودة التعليم في مدرسة من مدارس العلم ، هي أساس إقبال طلاب العلم من الآفاق ، وكلما أتقنت مدرسة من المدارس في تزويد طالب العلم بمسائل العلم ومناهجه والقدرة على تطبيقه وتنزيله على محاله ومجالاته كان لها التقديم والسبق ، والشواهد مطبقة على تقديم الأزهر في ذلك من الوافدين من مختلف البقاع ، وكلهم وافد من مدرسة لها تاريخ ومنهجية واختيار.

إن الأزهر الشريف في حقيقته صانع للعقول ، شهد بذلك أصحاب الشرائع الأخرى، قال الدكتور ميلاد حنا: (ومن خلال العلماء الوافدين من كافة أركان الأرض إلى الأزهر ، جاءت معهم مصادر معرفية جديدة، أدت إلى إثراء الفكر القومي المصري) [٣].

كما قال الأستاذ لويس فانوس – وهو رجل من كبار رجال السياسة والقانون المخضرمين-: (إنني كمسيحي أومن بديني، أؤكد أن الدراسة في الأزهر خير

---

١) المصدر السابق ص ٦٢، ٦٣ بتصرف يسير.

٢) المصدر السابق ص ٦٢، ٦٣ بتصرف يسير.

٣) الأعمدة السبعة للشخصية المصرية /ص١٠٥/ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة،٢٠١٣م.

دراسة يقوم عليها منهج قديم أو حديث ؛ فإن الأزهر هو ذلك المعهد القديم ، الذي صان القومية العربية ، واللغة العربية ، والفقه الإسلامي، الذي لم يترك شيئا من حياة المجتمع إلا نظمه، كالجنايات والحدود، وشؤون التوثيق، وأحكام الأسرة) [١]

قلت: لقد طهر الأزهر الشريف عقولا متفاوتة وطبائع مختلفة من أمم وشعوب متباعدة، مما صقل تجربة التعليم فيه إلى أبعد حد

قال صاحب الجمهرة : (وسبب ذلك فيما أرى هو طبيعة الدراسة العلمية الحرة الناقدة والجو العلمي الحافل الحاشد مما يصنع العقل وتنضج معه الشخصية وتستوي) [٢]

قال الأستاذ محمد غريب: (ومن شتى بقاع الأرض ، كان الشباب المسلم يفد على الأزهر ، مزودا بالقليل من المال والكثير من الإيمان ، من الهند، والصين ، والملايو، وجاوه، ...إلى أن قال: (ولم يكن الشيوخ بأوفر نعمة من طلابهم فإنهم جميعا سواء في خشونة العيش ، وربط الأحجار على البطون، وطعامهم الحقيقي هو العلم) [٣]

قال صاحب الجمهرة : (والخلاصة أنه قد امتزجت فيه الطبائع المختلفة والعقول المتباينة ، وأنماط المعيشة المتفاوتة، وانصهرت فيه ثقافات الأفراد وطرائق تعليمهم ، قال الحافظ السيد عبد الحي الكتاني: (كان شيخنا المحدث المسند أبو علي حسين بن محمد بن حسين الحبشي الباعلوي المكي يقول: ينبغي للطالب

---

١) جريدة الأهرام ١٧ شعبان ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، والجمهرة ص ١٢٤

٢) الجمهرة/ ص ١٢٤

٣) أزهريات /ص٨.

أن يكون فيه خمسة خصال : همة مغربية ، وأذواق مصرية ، وآداب رومية، وقناعة مكية، وزهادة حضرمية.. إلى أن قال: فكيف بالأزهر وقد نزل فيه المغاربة ، والروم، والمكيون والحضارم، وغيرهم من أجناس الأرض وشعوبها فما زال الأزهر ينتقي محاسن ما عند هؤلاء، ثم يكسبهم خلاصة تجربته ...ومرد ذلك كله إلى الذوق السليم الرفيع القادر على تصفح ذلك كله ، وانتقاء الأجود والأرفع والأزكى من كل ذلك ..إلى أن قال: وعلى النحو السابق كان الأزهر الشريف يصنع بإتقان عقولا كبيرة ، قد تكاملت لديها دوائر العلم ، فأبصرت تضاري الشرع ، وفهمت مقاصده ، وأدركت غاياته وتشربت نسقه) [١] قلت: وقد قدر الله أن أبقى بفضله وكرمه بقية باقية من علماء الأزهر الشريف ما زالوا يحافظون على هذا المنهج ويصونونه، ويعلمونه تلاميذهم ، وقد أوليت بعضا منهم بالنظر والإهتمام في هذا البحث المتواضع ليصيروا مشاعل هداية ، ومصابيح إضاءة لكل طالب علم أزهري مخلص لأزهريته وحافظ لمنهجه الرصين.

قال صاحب المدرسة الأزهرية: (إن الفترة التاريخية منذ القرن التاسع الهجري وحتى القرن الرابع عشر قد ظلمت ظلمًا بينًا، فيما يتعلق بالتأريخ العلمي لها ، حتى إتهم أهل تلك الفترة من علماء الأزهر بالجمود ، مع أن الإنصاف يقتضي غير ذلك) [٢].

والخلاصة أن الأزهر الشريف عني بالعملية التعليمية – أيما عناية – في العالم

---

١) الإفادات والإنشادات ، وبعض ما تحملته من لطائف المحاضرات/٣٠٢/ط/دار الحديث، الجمهرة ١١٨ الكتانية،طنجة،المملكة المغربية١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م

٢) المدرسة الأزهرية ص ٦٤ بتصرف.

الإسلامي منذ حوالي ألف عام، حتى صار قلب الإسلام النابض، وصارت محاولات هدمه أو تقويض أسسه كمؤسسة تعليمية بمثابة القضاء على الدين الإسلامي نفسه.

وفي هذا المعنى، يقول صاحب (النونية الأزهرية)

(عبر القرون وطيلة الأزمان**عين العناية والهدى ترعاني
وعلى مدى الأعصار يعلو في الورى**بعناية المولى العظيم مكاني
وبفضل ربي لاح فضلي في الورى**فالعلم رمزي، والهدى عنواني
وتلوح في أفق العلوم شواهدي**ويفوح في الدنيا شذا بنياني
أنا في علوم الشرع نجم مزهر**سطعت بشائره على الأزمان
أنا شمس تحقيق المعارف والهدى**ربي – تعالى– للورى أهداني
ما في من مقدار موضع ذرة **إلا ارتوت بمحبة الرحمن
وأنا الحفيظ على مواريث الهدى**وأنا الوعاء لمنهج القرآن
تلي الكتاب بساحتي وتأرجت**بسماع آيات الهدى أركاني
ألفا من الأعوام والقرآن في**صحني يرتل ، فاستنار جناني
ولكم شرفت بأن تلوا في ساحتي**سنن الشفيع ، فأورقت أفناني
وتشابك الإسناد بين مشايخي**والزائرين لهم من الأعيان
ولكم شهدت الساجدين لربهم**في ساحتي من كل ذي وجدان
حتى كأن منابري ومنائري**بنيت بأهل الفضل والإحسان
وكم انطوت حولي القرون ومنبري**بالحق يصدع كي يزيح الجاني
مذ شيدت بالعلم أروقتي سمت**حتى جمعت العلم في جدراني
عندي تشابكت المنابع بالهدى**فمناهجي أرقى بلا نكران

شهدت لي الدنيا بحسن طرائقي**في العلم، بل شهدت برفعة شاني
أنا موئل العلم الشريف، وموطن ال..مجد المنيف ، ومنهل العرفان
أنا حافظ الشرع المجيد، وخادم الن..هج السديد ، له الإله حماني
أنا قبلة العلم المنير ، وكعبة .. للدارسين ، ومنبع الإيمان)(١)

وإنني وإن كنت سأرمي بسهم في هذا الموضوع الهام ، فإن ما لا يسعني تركه من هذا الموضوع هو الحديث عن مدى ارتباط دوائر العلوم الشرعية بعضها ببعض ،حتى تكاملت في عقلية العالم الأزهري ، فعن أهمية اللغة العربية بين دوائر تلك العلوم الشرعية،

أقول: إن من أبرز سمات تلك اللغة العريقة والتي جعلتها بحق جديرة بأن تكون لغة القرآن الكريم ، بل لغة أهل الجنة: أنها تتسم باشتمالها على مفردات ليست لأية لغة أخرى ، وذلك لأن الحروف فيها تتوزع على مخارج الشفتين من أعلى ومن أسفل مشكلة ترانيم لا تسمعها في أي لغة أخرى، كما أنها من أقل لغات العالم من حيث عدد الحروف، أنها تشتمل على حرف لا يوجد في أي لغة حية على مستوى العالم ، حتى صار لقبا لها ألا وهو حرف "الضاد" ، ولذا كثيرا ما يطلق عليها تمييزًا لها "لغة الضاد"

وأما درة خصائصها وجوهرتها على الإطلاق فهي كونها أهم أدوات فهم نصوص الوحيين الشريفين (القرآن والسنة) وذلك لما تحويه من علوم خادمة من نحو وصرف وبلاغة وما تشمله من (بيان ومعان وبديع)

إن الناظر بالعين المجردة إلى خريطة العلوم الشرعية ، وما تشمله من دوائر

---

١) الأزهر يتحدث عن نفسه، لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أسامة السيد الأزهري ص٣-٥

للعلوم المختلفة ليلحظ دون أدنى مجهود مدى وطادة العلاقة بين علوم اللغة العربية ، وبين العلوم الشرعية المختلفة ، وقد اكتسبت اللغة العربية أهميتها من كونها لغة القرآن الكريم ، كما أنها اللغة التي أقيمت بها الحجة على كفار قريش ، قال تعالى{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} ،

قال صاحب البحر المديد : (أي : ولو تظاهروا وتعاونوا على الإتيان بمثله ما قدروا.) [1] فصارت بهذا معجزة خالدة ، أخرج البخاري في صحيحه بسنده إلى عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– : أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله ﷺ (إن مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا أو إن بعض البيان لسحر) [2]

وقد بوب عليه الإمام البخاري باب: إن من البيان سحرًا

قال الحافظ ابن حجر: (إن من البيان لسحرًا أي منه ما يصرف قلوب السامعين وإن كان غير حق وكذلك السحر) [3]

وأما عن دورها في عقلية العالم الشرعي وكيف ساهمت في خدمة الكتاب والسنة من خلال تمكن بعض علماء الأزهر الشريف منها ، فسأعرض على القارئ الكريم ، دورها على وجه الخصوص في دائرتي علمي (الحديث

---

١) البحر المديد ، لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ، ط: دار الكتب العلمية ــ بيروت –الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م ــ ١٤٢٣ هـ.٤/١٧٥

٢) صحيح البخاري،كتاب: الطب– باب: إن من البيان سحرا٥/٢١٧٦رقم ٥٤٣٤

٣) فتح الباري ١/١٣٠

والتفسير)

وقد أدرك العلماء الأوائل ما للغة العربية من أهمية حتى يكون لهم إسهام في إثراء المكتبة الإسلامية عن جدارة وبقدم ثابتة ، فراحوا يتعلمونها ويثابرون على تحمل المشاق لأجل ذلك ،حتى ذاع عنهم هذا وشاع

فنجد من العلماء الأوائل الذين عُنو بتحصيل علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية على حد سواء حتى صار بحرًا محيطًا في كل دوائر تلك العلوم ، الإمام الحافظ الحجة إمام عصره وفريد دهرة الإمام جلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي ت(٨٤٩هـ - ٩١٣هـ)ـ

الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن ابن أبي بكر بن محمد بن ساق الدين أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن الشيخ همام الدين الخضيري السيوطي الشافعي المسند المحقق المدقق صاحب المؤلفات الفائقة النافعة صاحب الفضيلة وصاحب الكرامة [1] (ملتقى العلوم العربية والشرعية)

---

١) قال العماد الحنبلي في شذرات الذهب : رؤى النبي في المنام والشيخ السيوطي يسأله عن بعض الأحاديث والنبي يقول له هات يا شيخ السنة ورأى هو بنفسه هذه الرؤيا والنبي يقول له هات يا شيخ الحديث وذكر الشيخ عبد القادر الشاذلي في كتاب ترجمته أنه كان يقول رأيت النبي يقظة فقال لي يا شيخ الحديث فقلت له يا رسول الله أمن أهل الجنة أنا

قال نعم فقلت من غير عذاب يسبق فقال لك ذلك وقال الشيخ عبد القادر قلت له كم رأيت النبي يقظة فقال بضعا وسبعين مرة وذكر خادم الشيخ السيوطي محمد بن علي الحباك أن الشيخ قال له يوما وقت القيلولة وهو عند زاوية الشيخ عبد الله الجيوشي بمصر بالقرافة أتريد أن تصلي العصر بمكة بشرط أن تكتم ذلك على حتى أموت قال فقلت نعم قال فأخذ بيدي وقال غمض عينيك فغمضتهما فرحل بي نحو سبع وعشرين خطوة ثم قال لي افتح

في عصره بلا منازع، وإن ما خلفه الإمام السيوطي للمكتبة الإسلامية من كنوز علمية لخير شاهد على ذلك ،فهو صاحب التفسير المعروف بتفسير الجلالين (السيوطي والمحلي ٧٩١-٨٦٤هـ)

والدر المنثور في التفسير بالمأثور وهو يعد موسوعة تفسيرية ضخمة حشد فيه الإمام ما أثر عن النبي والصحابة والتابعين من تفاسير لآيات وسور القرآن

وفي نفس الوقت هو صاحب كتاب الأشباه والنظائر في النحو ، وقد ذكر في مقدمته أن فنون العربية على اختلاف أنواعها هي أول فنونه ومبتدأ الأخبار التي كان في أحاديثها سمره وشجونه..أ،هـ بتصرف واختصار

وفي مجال خدمة الحديث الشريف فهو صاحب تدريب الراوي أحد أهم كتب علم المصطلح ، وهو شرح لكتاب التقريب والتيسير للإمام النووي ، والتقريب هو

عينيك فإذا نحن بباب المعلاة فزرنا أمنا خديجة والفضيل بن عياض وسفين ابن عيينة وغيرهم ودخلت الحرم فطفنا وشربنا من ماء زمزم وجلسنا خلف المقام حتى صلينا العصر وطفنا وشربنا من زمزم ثم قال لي يا فلان ليس العجب من طي الأرض لنا وإنما العجب من كون أحد من أهل مصر المجاورين لم يعرفنا ثم قال لي إن شئت تمضي معي وإن شئت تقيم حتى يأتي الحاج قال فقلت اذهب مع سيدي فمشينا إلى باب المعلاة وقال لي غمض عينيك فغمضتهما فهرول بي سبع خطوات ثم قال لي افتح عينيك فإذا نحن بالقرب من الجيوشي فنزلنا إلى سيدي عمر بن الفارض وذكر الشعراوي عن الشيخ أمين الدين النجار إمام جامع الغمري أن الشيخ أخبره بدخول ابن عثمان مصر قبل أن يموت وأنه يدخلها في افتتاح سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وأخبره أيضا بأمور أخرى فكان الأمر كما قال ومناقبه لا تحصر كثرة ولو لم يكن له من الكرامات إلا كثرة المؤلفات مع تحريرها وتدقيقها لكفى ذلك شاهدا لمن يؤمن بالقدرة. شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ابن العماد ٨/٥٠-٥٤

مختصر كتاب الإرشاد للإمام النووي الذي هو مختصر مقدمة ابن الصلاح، كما أنه صاحب كتاب الحاوي للفتاوي، وهو أحد كتب الفقه الشافعي، يبحث في الفتاوى الفقهية والمسائل والأحكام.

كان آية كبرى في سرعة التأليف، حتى قال تلميذه الداودي: عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفا وتحريرا، وكان مع ذلك يملي الحديث، ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنةوكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه، رجالًا وغريبًا ومتنًا وسندًا واستنباطًا للأحكام منه، وأخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث، قال: ولو وجدت أكثر لحفظته، قال: ولعله لا يوجد على وجه الأرض الآن أكثر من ذلك.

وقد استقصى تلميذه الداوودي :مؤلفاته الحافلة الكثيرة الكاملة الجامعة النافعة المتقنة المحررة المعتمدة المعتبرة فنافت عدتها على خمسمائة مؤلف، وشهرتها تغني عن ذكرها، وقد اشتهر أكثر مصنفاته في حياته في أقطار الأرض شرقًا وغربًا [١]

وأما عن دوائر العلوم والمعرفة التي تبنى الأزهر الشريف تدريسها لأبناءه ومنسوبيه من الدارسين والدارسات، منذ إنشائه وحتى يومنا هذا مع تفاوت في تغيير المقررات وتجديدها من حين لآخر

يمكن حصرها في أربعة دوائر معرفية كل دائرة منها مخدومة بعدد من العلوم على النحو الآتي:

الدائرة الأولى: دائرة الفهم والإفهام ، وتحتها علم النحو، وعلم الصرف، وعلم

---

١) و ترجمته وافية : سير أعلام النبلاء ١٢/١، وشذرات الذهب ٥٠/٨-٥٥

المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع ، وعلم الإشتقاق، ويتم تدريس كتبها المنتقاة على مستوى المبتدئ ثم المتوسط ، ثم المنتهي ، مع الحرص على وضوح غرضها،وأنه يصنع ملكة ويفتح عينًا في الذهن يقتدر الدارس من خلالها على فهم التركيب العربي الفصيح، ومعرفة فلسفته، ونسقه، ومعهود خطابه، تمهيدًا لاقتداره على فهم التركيب العربي المعجز، والذي هو القرآن الكريم، ثم السنة المشرفة

ومن المؤلفات في تلك الدائرة ما ألفه العلامة الجليل عمر بن يحيى الطحلاوي ت١١٨١هـــ ، وهو عبارة عن متن لطيف في ورقات سماه (غاية الإحكام في آداب الفهم والإفهام) ثم دفعه إلى العلامة الأمير الكبير طالبًا منه أن يشرحه، فكتب عليه الأمير شرحًا لطيفًا اسمه : (ثمر الثمام، شرح غاية الإحكام في آداب الفهم والإفهام)

ولشيخ الأزهر الشيخ محمد الأحمدي الظواهري كتابًا اسمه : (الكلمة الأولى في علم آداب الفهم) وهو علم اخترعه وجعله بمثابة ميزان دقيق، أو قانون كلي لرفع الخلاف القائم بين المتأخرين في فهم آراء المتقدمين.

قال العلامة الشيخ محمد أحمد عرفة ت ١٣٩٢هـــ في كتاب (النحو والنحاه) : (كان شيوخنا في الأزهر يعتنون في دروسهم بفهم نصوص الكتب ..إلى أن قال: ولكننا إذا حفظناكم العلوم دون أن نعلمكم هذه الصناعة بقيتم عاجزين عن أن تأخذوا العلم إلا من معلم ، ولم تقدروا على الاستقلال بأنفسكم ، وكسب العلم دون الاستعانة بأحد، وكانوا يجدون ونجد معهم في سبيل ذلك عنتا ومشقة) [١]

---

١) النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة ص٧٠

وكلامه هذا يبين أن المنهج الأزهري كان يعتني بالمناهج دون المسائل، وصناعة العقول، والفهم والتفهيم

الدائرة الثانية: دائرة التوثيق والثبوت، وتحتها الحديث ، وعلوم المصطلح والرجال والجرح والتعديل ، وعلم السيرة النبوية، والتاريخ ، وعلم آداب البحث والمناظرة

وتلك العلوم يتوصل من خلالها الدارس إلى الوقوف على الجهد الخارق الذي قام به علماء الأمة صيانة للوحيين الشريفين حتى وصل إلينا صافيًا نقيًا دون أن تتسرب إليه الأفهام السقيمة من بعض البشر أو تصوراتهم الخاطئة.

الدئرة الثالثة: دائرة الحجية والتحليل

ويندرج تحتها علم الكلام ، وعلم المنطق، وعلم أصول الفقه، وعلم المقولات العشر، ويستطيع الباحث من خلالها معرفة الحجج في دين الله ، ومراتب تلك الحجج، وأنواعها العقلية والنقلية، ومستويات دلالاتها على مقاصدها وتوصيلها إلى نتائجها ،وكيفية الاستفادة منها.

الدائرة الرابعة: دائرة بناء الإنسان، ومعرفة الأحكام والآثار الشرعية المترتبة على تصرفاته الظاهرة والباطنة ، فالظاهرة في علم الفقه وربطه بمقاصده التربوية، والباطنة في مقاصد العقائد وعلم التزكية والسلوك والأخلاق

قلت: وهذه الدوائر العلمية الأزهرية هي التي عليها مدار منح شهادة العالمية، ولكن كل تلك الدوائر المذكورة مرجعها إلى ثلاثة دوائر تنتظم بها العقلية العلمية وتصل إلى مرحلة الإنتاج العلمي ، هذه الدوائر الثلاثة هي: (دائرة العلوم الخادمة للنص، ودائرة علوم الواقع، ودائرة العلوم الرابطة)

وأما علوم الواقع فهي منظومات ومجالات من العلوم التطبيقية، هي أساس

صناعة الحضارة.

قال صاحب الجمهرة: (وقد أسفر ذلك كله عن وجود منهج أزهري، من معالمه أنه يحافظ على اتصال السند العلمي رواية ودراية وتزكية، ومنها أنه يحافظ على معرفة العلوم في آلاتها وغاياتها، ومنها إدراكه لمقاصد الدين وغايات الشرع ، ومنها حسن تنزيله للوحي الشريف على الواقع) [١].

قلت: ثم يأتي الآن دور علماء الأزهر والذين كانوا بالأمس القريب أحد طلابه وجلساء حلقاته المنيفة ، ومجالسه الشريفة ، لنقرر مدى ما لهم من قدم صدق في تحصيل العلوم الأزهرية والتمكن منها ، ثم ما بذلوه من جهد في سبيل نشرها وتعليمها لتلاميذهم من بعدهم في صورة محاضرات قيمة ولقاءات متعددة وتصنيفات نافعة تدل على مدى ما بذلوه من جهد ووقت في سبيل خدمة العلم تحصيلا ونشرا.

يقول الدكتور عبد الحليم محمود في تقديمه لكتاب الأزهر في ألف عام: (وقد عرف التاريخ أن رجال الأزهر وقد حملوا هذه الأمانة: رسالة الإسلام طول ألف عام، هم سدنة قلعة، وحماة عرين، وجند حصن، تنبعث منهم الصيحة الحقيقية المؤمنة التي تظهر الإسلام على حقيقته وتعرضه عرضا ذاتيا من مبادئه وجوهره الأصيل، ولا يستطيع غيرهم أن يحمل مثلهم أعباء هذا الشرف لأن هذا الغير لم يجرب مثل هذه التجربة الرائدة ولم يمارس مثل هذه الخبرة الطويلة زهاء ألف عام) [٢].

---

١) الجمهرة ص١٨٩

٢) الأزهر في ألف عام،للدكتور أحمد محمد عوف. تقدمة الشيخ عبد الحليم محمود ،الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

وذلك من خلال مبحثين هامين أتناول فيهما أنموذجان من علماء الأزهر الشريف ، وقد خلفا ورائهما تراثًا علميًا لا مثيل له ما بين مسموع ومرئي ومقروء يستطيع من خلاله كل من له أدنى علاقة بالعلوم الشرعية أن يستقرئ في هذا التراث عقلية هذين العالمين ، وكيف تكاملت فيها تلك العلوم الأصيلة بمنتهى التنظيم والإتساق، بل ساهمت أيما مساهمة في تذليل وتقريب معاني الوحيين الشريفين لعامة الناس قبل خواصهم.

*****

المبحث الثاني: الشيخ محمد متولي الشعراوي "أنموزجا" لتكامل العلوم الشرعية في خدمة القرآن الكريم.

توطئة:

لقد ظل الأزهر على مدى قرون طوال عاكفا على صنعة العلم والتعليم ، تتداعى إليه عقول طلبة العلم حتى أنتجبت النجباء والعباقرة ، كما أن فضيلة الصبر على طلب العلم والجهاد في تحصيله كانت أهم أركان بناء تلك العقول الألمعية ، والقامات الربانية.

قال تعالى في شأن أنبيائه-عليهم السلام- : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (١).

ولما كان العلماء ورثة الأنبياء، كما أن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا ولكن ورثو العلم، فقد انطبقت تلك الآية الكريمة بعموم لفظها على كل من حمل مشاعل الهداية للخلق كافة من العلماء العاملين والهداة المهديين ممن ساروا على نهج الشرع القويم.

قال الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية الكريمة: (يهدون بأمرنا (أي يدعون الخلق إلى طاعتنا) بأمرنا (أي أمرناهم بذلك وقيل : بأمرنا أي لأمرنا أي يهدون الناس لديننا ، ثم قيل : المراد الأنبياء عليهم السلام قاله قتادة وقيل : المراد الفقهاء والعلماء) لما صبروا (قراءة العامة لما بفتح اللام وتشديد الميم وفتحها أي حين صبروا ، وقرأ يحيى وحمزة والكسائي وخلف ورويس عن يعقوب: لما صبروا أي لصبرهم جعلناهم أئمة واختاره أبو عبيد اعتبارا بقراءة

---

١) سورة السجدة-آية٢٤

بن مسعود بما صبروا بالباء وهذا الصبر صبر على الدين وعلى البلاء ، وقيل : صبروا عن الدنيا) [١].

قال صاحب الجمهرة في وصفه لأثر العلوم الأزهرية ومنهجها الرصين القويم الذي يمثل الوجه المشرق للإسلام ، على خريجيه من العلماء والنجباء: (وعلى النحو السابق كان الأزهر الشريف يصنع بإتقان عقولا كبيرة ، قد تكاملت لديها دوائر العلم ، فأبصرت تضاريس الشرع ، وفهمت مقاصده ، وأدركت غاياته وتشربت نسقه ، وانفتحت بصائرها على الآداب النفسية الرفيعة التي يثمرها هذا الشرع الشريف ، ثم خرجت تلك العقول إلى المجتمع وواقعه فيعيشون بين الناس بما يحملوه وعرفوه من تلك المعارف التي تستنير بها العقول ، فيجعلون أعمارهم موقوفة في خدمة الناس ، وتعليمهم ، ورفع وجوه المعاناة عنهم وإغاثة ملهوفهم ، ورفع الضرر عن المكروب منهم مع حفظ الأوطان ، وأمان المجتمعات ..، والصبر وطول النفس على إصلاح أمور المسلمين مهما تعقدت وتداخلت) [٢]

ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ الذين صبروا على مشقة طلب العلم والجهاد في تحصيله حتى حاذوا العلوم الإثنى عشر التي كان يتلقاها طلبة العلوم الأزهرية عن مشايخهم،

بل إنه يجسد بكل دقة المعنى الذي وصف به صاحب الجمهرة العالم الأزهري الأصيل.

---

١) الجامع لأحكام القرآن ١٤-١٠٨

٢) الجمهرة ١٢٤، ١٢٥

ذاك الشيخ العلامة الملقب (إمام الدعاة) ، إنه فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي "أنموذجا" لتكامل العلوم الشرعية في خدمة القرآن الكريم.

لقد ضرب لنا فضيلة الشيخ أنموذجا للعالم الأزهري البارع الذي حظي بدراسة العلوم الشرعية بطريقتها الرصينة(المتن والشرح والحاشية)

والذي ظهرت أهمية تخصصه في علوم اللغة العربية في مجال تفسيره لكتاب الله عز وجل والذي أسماه (بالخواطر الإيمانية) والتي أقامها حول آيات الكتاب العزيز فلا تجد في العصر الحاضر بل على رأس القرن من خدم كتاب الله عز وجل أجود من فضيلة الإمام الشيخ : محمد متولي الشعراوي ت (١٩٩٨ م) .

وعن ترجمته –رحمه الله تعالى– أقول:

عمدة المفسرين وإمام الدعاة: شيخنا العلامة الشيخ محمد متولي عبد الحافظ الشعراوي، الإمام المفسر ، والعالم الرباني ، الأديب اللغوي، زينة علماء الأزهر في زمانه، ولد يوم ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٢٩هـــ، الموافق ١٥ أبريل ١٩١١م التحق بالأزهر الشريف ، وتتلمذ لعلماء معهد الزقازيق

من شيوخه: الشيخ أحمد مكي، والشيخ مصكفى الصاوي، وغيرهم تخرج عام ١٩٤٠م وحصل على شهادة العالمية مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣م ، كما عين في المعهد الأزهري بطنطا وانتدب وكيلا لمعهد سمنود في أغسطس ١٩٥٩م ، ثم انتقل بعد ذلك إلى المعهد الأزهري بالزقازيق ، ثم إلى المعهد الأزهري بالأسكندرية، ثم وكيلا لمعهد طنطا الأزهري سنة ١٩٦٠م، ثم مديرا للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف ١٩٦١، ثم مفتشا للعلوم العربية بالأزهر الشريف ١٩٦٢م، وقد عين مديرا لمكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ حسن مأمون ١٩٦٤م، وعين رئيسا لبعثة الأزهر في الجزائر ١٩٦٦م، ثم أستاذا

زائرا بجامعة الملك عبد العزيز بكلية الشريعة بمكة المكرمة ١٩٧٠م، ثم رئيسا لقسم الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز ١٩٧٠م

اختير وزيرًا للأوقاف وشئون الأزهر بجمهورية مصر العربية سنة ١٩٧٦م، وعضوا بمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٠م، وعضوا بمجلس الشورى بجمهورية مصر العربية ١٩٨٠م

وأما عن تكامل العلوم الشرعية في عقلية الإمام الشيخ ، فينقل لنا هذا المعنى موثقًا العلامة محمود محمد الطناحي في (مقالاته)

حيث ذكر فيها: (وإذا كان لكل عالم أو مفكر مفتاح ، فإن مفتاح شخصية هذا الشيخ هو اللغة) ،إلى أن قال: (وقد استطاع الشيخ على هذا المدى الطويل أن يأخذ العامة أوساط الناس إلى قضايا التذوق والبلاغة واللغة والأدب ، وخاض بهم لجج هذه العلوم، واستكثر من شواهد الشعر والأمثال وكلام الفصحاء)، إلى أن يقول: (ومن وراء اللغة وقضاياها يتقدم يتقدم الشيخ إلى الناس بثقافة العالم الأزهري، المتمكن من علوم العربية كلها، لأن العربية عند أهل العلم كتاب واحد)، إلى أن يقول : (وبعد: فهذا شيخ جليل ، جاء على حيين فترة من العلماء الحفاظ الضابطين، وهو يمثل صورة زاهية للعالم الأزهري، المؤسس على علوم العربية وقوانينها، من حفظ المتون، وإتقان التعريفات ،والصبر على المطولات ، والنظر في الحواشي والتعليقات والتقريرات) [١]

قلت: وأما عن تمثيله المنهج الأزهري العريق، يقول صاحب جمهرة أعلام الأزهر : (وقد تجسد في صاحب الترجمة – يقصد الشيخ الشعراوي– معلم

---

١) مقالات العلامة محمود محمد الطناحي ١/٢٨٠-٢٩٢، ط/دار البشائر الإسلامية،بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م

عظيم من معالم المنهج الأزهري، ألا وهو التواصل الجماهيري، والاقتدار على تسهيل العلوم الدقيقة وتقريبها من مدارك العامة، كما كان شأن العلامة الفضالي وغيره كثير من الأزهريين على اختلاف طبقاتهم، في تيسير العلوم للعامة، والتنقل ببراعة وليونة بين دوائر العلم، والفكر، والثقافة الشائعة، مع اشتباكه مع مثقفي زمانه، وخوضه المعارك الفكرية، وانفتاح أبواب الحجاج والتدافع والنقاش بينه وبين المفكرين والأدباء) ، إلى أن قال: (حتى رأى فيه الشعب المصري علوم الأزهر الشريف وقد تجسدت شخصا، يفهمون منه، ويصغون إليه، ويستزيدون من علمه) [١]

وفاته: لم يزل – رحمه الله– بارًا بالأزهر وناشرًا لما حصلّه من علوم الإسلام تحت جدرانه، حافظًا لمنهجه ، شارحًا لكتاب الله –عز وجل– في ضوء خواطره الإيمانية ، حتى توفاه الله– سبحانه وتعالى– في يوم ٢٢ صفر، سنة ١٤١٩هـ، الموافق ١٧ يونيو١٩٩٨م. [٢]

فرحم الله الشيخ الشعراوي ، ورضي عنه ونفعنا بعلومه في الدارين آمين.

---

١) جمهرة علماء الأزهر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين

٢) مجمع البحوث الإسلامية تاريخه وتطوره /ص١١٢/، والنشرة الرسمية للجامع الأزهر والمعاهد الدينية /٢٥/٢٩، و٤٣/٢٧، الشيخ الشعراوي من القرية إلى العالمية ، لمحمد محجوب حسن، ط:دار النشر هاتييه، القاهرة، الأزهر في ألف عام ٧٥/٦، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ٣٧٢/٤، كلية اللغة العربية بالقاهرة وثمانون عاما في خدمة اللغة العربية وحمايتها /ص٥٤٧/، ومقدمة: ديوان الإمام الشيخ محمد متولي الشعراوي ص١١-١٢٤، موسوعة أعلام القرن العشرين٣٠٤/٢، وإتمام الأعلام٤٠٥/١، وموسوعة أعلام الفكر الإسلامي /ص ١٠٠٣/وزارة الأوقاف في مئة وسبعين عاما/ص ٣٤٥، الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام /ص١٠٧/، والأنوار السافرة في أعيان مصر والقاهرة ١١١٦/٦، ومجلة الأزهر /١٧٩٨/٧٠/العدد الصادر بتاريخ ذي القعدة، سنة١٤١٨هـ-مارس ١٩٩٨م، ومصر والمصريون في الحرب والسلم شخصيات وأحداث ٢٠٠ عام :٣٢٤/٢.، جمهرة علماء الأزهر ٩٣/٨، ٩٤

المبحث الثالث: الشيخ محمد خليل الخطيب "أنموذجا" لتكامل العلوم الشرعية في خدمة السنة النبوية.

فإذا انتقلنا إلى دائرة (الحديث الشريف) وعلومه ، فبالإضافة إلى شرط العدالة والضبط اللذان لابد من توافرهما في الراوي لكي يقبل حديثه ويتصدر الرواية ، فقد جعل بعض العلماء تمكنه في اللغة العربية شرط في الحكم على حديث بالصحة ، وحينما أدرك المحدثون ذلك منذ زمن راحوا يتنافسون في تعلمها والإلمام بفنونها المختلفة .

وقد سبقهم في ذلك الحث على العناية بها الخليفة الثاني ، سيدنا عمر بن الخطاب حيث كتب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري ﷺ فقال : "أما بعد، فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن فإنه عربي"، ..قال ابن الأثير رحمه الله: وفي حديث عمر ﷺ"تعلموا السنن والفرائض واللحن كما تتعلمون القرآن"، والمقصود باللحن الكلام وأصول العربية) [١]

ومن علماء العصر المبرزين في خدمة حديث رسول الله ﷺ كأنموذج للعالم الأزهري الجليل الذي استطاع من خلال تحصيله وإتقانه لعلوم العربية أن يخدم سنة رسول الله ﷺ أيما خدمة، وكذا يصنف التصانيف الفائقة النفاسة في مجال النحو والتصريف من علوم العربية، ذلك الشيخ الجليل والعالم الفضيل – الصعيدي المولد والمنشأ – الشيخ: محمد بن خليل بن محمد بن السيد بن إسماعيل الخطيب ت ١٩٨٦م –رحمه الله تعالى– النيدي[٢] الحسني الأزهري

---

١) إيضاح الوقف والابتداء ١٥/١

٢) نسبة إلى نيدة، بفتح النون الموحدة الفوقية وبعدها ياء ساكنة ثم دال مفتوحة وآخره

الأشعري الحنفي الجنيدي ، الملقب: شاعر الرسول ﷺ العلامة الجليل العارف بالله وشيخ العارفين.

ولد هذا الشيخ الفاضل في التاسع من شهر مارس سنة ١٩٠٩ للميلاد ، الموافق ١٣٢٧هـ ، وعائلته من أشهر عائلات أخميم، وشهرتها بالعلم قديمة، وينتهي نسبه إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ولعل هذا الوسط العلمي الداعم كان سببًا في حفظه القرآن الكريم صغيرًا ، فالتحق بمعهد أسيوط الأزهري سنة ١٣٤١هـ، وحصل على شهادة الإبتدائية سنة ١٩٢٤م ، ثم حصل على الثانوية الأزهرية سنة ١٩٢٨م وشهادة العالمية سنة ١٩٣٣م، وشهادة التخصص (الدكتوراه الحالية) في اللغة العربية سنة ١٩٣٦م الموافق ١٣٥٤هـ.

شيوخه: تتلمذ فضيلته على يد عدد من العلماء الأجلاء منهم: الشيخ صالح شرف، والشيخ محمد غراب، والشيخ أمين سرور، والشيخ محمد نور الحسن وكيل الأزهر، والشيخ محمد عبدالله دراز، والشيخ صالح هاشم، والشيخ أحمد مصطفى المراغي، والدكتور علي عبد الواحد وافي، والشيخ زكي المهندس، والشيخ علي الشايب، والشيخ عبد الجليل عيسى، والشيخ عبدالعزيز مكي، والشيخ محمد العتريس، والشيخ السمالوطي، والشيخ يوسف الدجوي، وغيرهم.

مؤلفاته: أثرى الشيخ المكتبة الأسلامية بمؤلفات متنوعة تدل على تكامل العلوم الشرعية والعربية في ذهنه وعقليته ، فألف في الفقه والحديث واللغة ،

هاء التأنيث، قرية بمركز أخميم في محافظة سوهاج، على الشط الشرقي للنيل، شمال أخميم وجنوب صوامعة سفلاق، سميت باسم النيدة، وهي الطعام المأخوذ من القمح والعسل ونحوه، ويراجع: الخطط التوفيقية ٥١/١٧

والشعر، والقصص، والتفسير والتراجم ، ساعده على ذلك ملكته المتقدة وذوقه الرفيع وصبره الجميل ، فكان مثالًا للعالم والأديب ، والباحث المتئد والمنقب الصبور.

ومما استطعت الوقوف على نسبته إليه من المؤلفات : (إتحاف الآنام بخطب رسول الإسلام–صلى الله عليه وسلم–) وقد زين المكتبة الإسلامية بما حواه من خطب رسول الله كاملة ومرتبة ومصححة ، جهد فيه الإمام مدة خمسة عشر عامًا، و(الأحاديث المختارة من البخاري وشرحها)، و(شرح الخطيب لكتاب العمدة في الفقه الحنفي)

(تفسير عدة أجزاء من القرآن الكريم) ، و(أنوار الكهرباء، في ترتيب وشرح حكم سيدي أحمد ابن عطاء الله السكندري) ، و(رباعيات الخطيب)، و(أراجيز الخطيب)، و(بداية التعرف، في شرح نقاية التصوف) ، و(إتحاف الأخيار، بأصح العقائد والأذكار)، و(إتحاف السادات، في أحكام الصلاة والسلام على أشرف المخلوقات)، و(حكمة الرجز أو صورة المجتمع) ، و(غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب)، وقد أعده الشيخ في عدة سنوات غاص خلالها في أمهات كتب الأدب حتى جمع شتات شعر أبي طالب – ورتب أبياته ، ووضح غامضه ، وبين مشكله ، وساعده على ذلك ثقافته الواسعة ، وزاده الكثير من مفردات اللغة ، وليس ذلك بغريب على الشيخ فهو شاعر كبير؛ له في الشعر باع طويل.

تمكن أيضا من اللغة العربية حتى ألف: (ألفية الخطيب في فن الصرف) التي نظمها ثم شرحها شرحًا وافيًا يستطيع كل متعمق في علوم اللغة فقط إدراك قيمتها، كما أن له كتاب قيم سماه : (القصص الحق لسيد الخلقﷺ) من خمسة أجزاء جمع فيه القصص النبوي الكريم ، ثم شرحه وعلق عليه تعليقًا علميًا

بارعًا ، وغيرذلك الكثير.

كل هذا يؤكد ويدعم فكرة تكامل العلوم في عقلية شخص واحد إذا بذل الجهد في تحصيلها وجمعها في بداية طلبه للعلم ، وخاصة إذا كان تكامل تلك العلوم قد تم على المنهج العلمي الرصين (المتن والشرح والحاشية)، وقد سبق الحديث عنه في الفصل السابق.

يقول صاحب الجمهرة : (وكان له مسلك تربوي جليل، قائم على العلم والذكر والقدوة الحسنة، تقيًا سالكًا إلى الله على قدم صدق، صاحب تعلق وتأله ومحبة وتعلق، ملحوظا بعين الإكبار من الأكابر) ، إلى أن قال: (والذي يطالع أثر الشيخ الخطيب على مدى خمسين سنة في طنطا، وشبكة علاقاته بالشيخ عبد الحليم محمود، والشيخ الشعراوي، والشيخ أحمد حجاب، والسيد أحمد القصبي محافظ الغربية ، وسائر الأعيان والمسؤلين والوزراء والأكابر، ويرى كيف كان – رحمه الله– منارا من النور والأخلاق والحب والتزكية، والحال الشريف، والأثر الجليل المحوط بالإكبار والإجلال ، فإنه يدرك ما أكرم الله تعالى به الشيخ الخطيب من القبول والحب والولاية والأخلاق الشريفة الجليلة) [1]

وقد أفرد له ابنه السيد محمود محمد خليل الخطيب كتابا في ترجمته، عنوانه: (نفحة القبول، في سيرة شاعر الرسول ﷺ) طبع بعد وفاة الشيخ بسنة ، ثم جمع ابنه السيد أحمد محمد خليل الخطيب كتاباً واسعًا جاء في جزئين كبيرين، استقصى فيه أخبار المترجم وكراماته ومواقفه ودرره في التربية وتهذيب الأنفس، فخرج كتابا حافلا لا مثيل له، اسمه: (خمسون عامًا مع شاعر النبيﷺ:

---

١) جمهرة علماء الأزهر ١٦٣/٧

محمد خليل الخطيب النيدي، الموسوعة الشاملة لحياته الروحية والعملية والعلمية) ، طبع بعد وفاة الشيخ بنحو أربعين سنة.

وفاته: استمر الشيخ في نشر تعاليم الإسلام والتي تمثلت في أقواله وأفعاله بين الناس وذلك من موقع مشيخته في العلوم الأزهرية وتلبسه بل تشبعه بها ، حتى لقي ربه عشية يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر جمادي الثانية ، ١٤٠٦هـــ ، الحادي والعشرين من شهر فبراير ١٩٨٦م –عن سبعة وسبعين عاما من العطاء الفياض والإصلاح البناء، ودفن في مسجده العامر بمدينة طنطا التي كانت محل إقامته الكريمة الحافلة بأوجه الخير[١].

رحم الله الشيخ الجليل وأجزل له العطاء ، ونفعنا الله بعلومه وبأعماله الصالحة في الدارين آمين.

قال صاحب الجمهرة: (إن تاريخ الأزهر في الحقيقة هو علماؤه ورجاله، وأحوال

---

١) تراجع ترجمته : غاية المطالب، في شرح ديوان أبي طالب /ص١٨٣/،ط: مطبعة الشعراوي،طنطا، مصر، ١٩٥٠م، وخمسون عاما مع شاعر النبي–صلى الله عليه وسلم– ، ط/دار المشكاة للنشر والتوزيع ، طنطا، مصر، سنة ١٤٣٩هـــ–٢٠١٧م، وفضيلة الإمام الشيخ محمد خليل الخطيب شاعر الرسول–صلى الله عليه وسلم– توثيق وتعريف بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده، إعداد الأحفاد: مصطفى ومحمد وأحمد وياسين ومحمود أحمد الخطيب، والمعجم الأصغر ، لعلماء الجامع الأزهر/٢٧٣/٣، ومجلة الأزهر٦٠/ ٦٣ العدد الصادر بتاريخ المحرم،سنة ١٤٠٨هـــ، الموافق سبتمبر، سنة ١٩٨٧م، و/٩٠٩/٦٣، العدد الصادر بتاريخ شعبان سنة ١٤١١هـــ، الموافق فبراير / مارس، سنة ١٩٩١م، وإتمام الأعلام٣٥٦/١ ، والإشادة والتعريف، بمن بر أباه بالتأليف/ص١٣٤/، والمناهج الأزهرية: قائمة بالكتب المعتمدة في الأزهر الشريف/ص٨٩/ ، وجمهرة علماء الأزهر ١٦٣/٧–١٦٤

علمائه ورجاله، وثمرة تحركات رجاله وأنشطتهم،.. ومواقفهم وتصرفاتهم، وجهودهم العلمية، وأثرهم الاجتماعي في بلدانهم وأوطانهم ودوائر تأثيرهم) [١]

يقول شيخ قراء العراق الملا عثمان الموصلي الأزهري على لسان الأزهر الشريف:

(وكم حلقي أبت رجالا أعزة *** تسامت على هام السماكين مفخرا

رجال لهم بالله أوثق عروة *** بآثارهم أحيا ولو سكنوا الثرى) [٢]

وكأن الأزهر يقول أنني أحيا بهؤلاء الرجال الأكابر رغم أنهم قد ماتوا، لكنهم صناع مجدي وسيرتي وآثاري في الناس، فأنا هم على الحقيقة

وصدق أمير الشعراء-أحمد شوقي- حينما وصفهم في بعض قصيدته قائلا:

(واخشع مليا واقض حق أئمة** طلعوا به زهرا وماجوا أبحرا

كانوا أجل من الملوك جلالة** وأعز سلطانا وأفخم منظرا)

وقد يقول قائل أن هذا الوصف الذي ألبسناه العالم الأزهري لا ينطبق على كثير من خريجيه؟

وأرد على هؤلاء بعبارة صاحب الجمهرة ، حيث قال: (وخرج من الأزهريين من رأس دولة أو تولى وزارة أو احترف حرفة ..فكانوا كغيرهم من الناس يصدر منهم الصواب والخطأ، وتختلف طبائعهم البشرية ، لكن الأعم الأغلب من شأنهم أن الناس يجدون فيهم الملاذ في أوقات الشدائد والأزمات ، حتى استقر في وجدان الناس أنهم أهل نجدة وغوث للناس في الشدائد) [٣]

---

١) جمهرة علماء الأزهر ١٧/١

٢) المصدر السابق

٣) الجمهرة ١٢٤، ١٢٥

الخاتمة:

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى ، ورضي الله عن آل بيته وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد: فقد وفقني المولى عز وجل لإتمام هذا البحث المتواضع، راجية منه سبحانه أن يتقبله مني خالصا لوجهه الكريم ، وأرى أن أليق ما أختتم به هذا البحث المتواضع عن الأزهر الشريف وعلمائه تلك التحية التي حيا بها فضيلة الشيخ علي طنطاوي ذاك الصرح العظيم قائلا: (أولئكم علماء الأزهر وهل في الدنيا معهد علم له قدم الأزهر وعظمة الأزهر وأثر الأزهر في الفكر البشري وفي الحضارة الإنسانية؟ أي معهد يجر وراءه أمجاد ألف سنة..؟

فالأزهر درة الدهر تكسرت على جدرانه أمواج القرون وهو قائم..)

ويؤكد هذا المعنى أمير الشعراء أحمد شوقي قائلا

(يا معهدا أفنى القرون جداره** وطوى الزمان بهاؤها والأعصرا

ومشى على يبس المشارق نوره** وأضاء أبيض لجها والأحجرا

وأتى الزمان عليه يحمي سنة** ويذود عن نسك ويمنع مشعرًا)

وقد خلصت بعد معايشته إلى عدة نتائج أسوقها كما يلي:

النتائج:

أولا: أن العودة إلى منهج التعليم الأزهري الأصيل (المتن والشرح والحاشية) لهو أساس بناء الفكر المنضبط والعقلية العلمية المتكاملة لطالب العلم الأزهري.

ثانيًا: أن إبراز قدر العلماء وإعطائهم حقهم في التوقير والتكريم لهو واجب شرعي مستمد من وحي السماء ، ومن هديه الشريف –صلى الله عليه وسلم–

ثالثًا: أن الأزهر الشريف بكل فروعه لهو من أعرق المؤسسات العلمية على مر

التاريخ الإسلامي مكانة وفضلا وشهرة ، بل وصمودا أمام تحديات العصر قديما وحديثا، وذلك بشهادة أعدائه قبل أتباعه.

رابعًا: أن علماء الأزهر الشريف في كل زمان ومكان بمثابة (لسان الميزان) الذي يحمي المجتمع من الوقوع في براثن التكفير والتفجير أو السقوط في مهاوي التحلل والإباحية.

خامسًا: إن وظيفة الأزهر في الأساس هي الحفاظ على العقلية العلمية الخادمة للوحي الشريف ، في دوائرها ومجالاتها العلمية المختلفة ، والعكوف على تحويلها إلى رجال مؤهلين، قد استوت عقولهم وملكاتهم ومواهبهم، وتشبعت بتلك العلوم والمناهج ، ليقتدروا هم بدورهم على تحويل علومهم إلى مواقف مشهودة، تنير العقول وتثبت اليقين ، وتفند الأوهام والشكوك ، وتقف ناصرة للحق إذا استدعى الأمر ذلك دون خوف أو تردد ، بل يمتد ذلك إلى إيصال كل خير لمن يحتاج إليه ممن يحيط بهم من المجتمعات.

سادسًا: أن أخطاء بعض الأفراد ممن ينتسبون إلى الأزهر الشريف في أي مرحلة من مراحل الدراسة فيه ، لا تمثل خطأ في المنهج الأزهري، ولا تعد مأخذا عليه، بل إن معظم ذلك مرجعه إلى سقم أفهام هؤلاء المنسوبين إليه ، أو فقدانهم معظم أركان العملية التعليمية ، أو بيئاتهم التي نشأو فيها ، أو غير ذلك من الأسباب التي لا علاقة لتلك المؤسسة العريقة بها.

وأما عن التوصيات فقد خرجت على النحو التالي :

أولًا: أهيب بالسادة العلماء القائمين على صناعة المناهج العلمية لطلبة العلم من الدارسين والدارسات بالأزهر الشريف إعادة النظر في كيفية صياغة المناهج على طريقة (المتن والشرح والحاشية) والتي أفرزت لنا أمثال الشيخ الشعراوي

والشيخ محمد خليل الخطيب-رحمهما الله تعالى- ونفعنا بعلومهما في الدارين.

ثانيًا: أهيب بالسادة القائمين على الأقسام العلمية المختلفة النظر في إيجاد طريقة لربط دوائر العلوم الشرعية المختلفة بعضها ببعض حتى تعود الينا فكرة التكامل المعرفي، وتكتمل لدى الباحثين والباحثات أدوات فهم نصوص الوحيين الشريفين(القرآن والسنة) اللذان هما عمد العملية التعليمية في الأزهر الشريف، وعلى ضفافهما قامت كل دوائر العلوم الشرعية.

ثالثًا: أهيب بكافة الباحثين والباحثات العناية بإحصاء كل ما يستطيعون إحصاؤه عن مشايخهم ، والعلماء الذين تخرجوا على أيديهم وتوثيق ذلك ما استطاعوا ، حتى إذا جاء من بعدهم لينهض بإظهار مكانتهم وإبرازها لأهل العلم وجد ذلك سهلا مذللا.

رابعًا: معرفة قدر علماء الأزهر الكرام ومشايخه الأفاضل بإشاعة الحديث عنهم ، وتناول ذكر كل ذي فضل بفضله وكل ذي منقبة بها ، حتى يكون ذلك داعمًا لمحبتهم من العامة والخاصة ،والتأسي بهم في كل مناحي الحياة العلمية والعملية، والثقة في آرائهم والركون إلى علوم الأزهر الأصيلة ، ونبذ ما عداها من شذوذ فكري أو منهجي .

يقول في هذا المعنى العلامة علي بن حسين العطاس[1]:

تفوت كرامات الرجال شواردا ** إذا لم تقيدها علينا الدفاتر

تموت الخبايا في الزوايا وما لها ** من الناس بين الناس في الناس ذاكرا

ويقول العلامة الأزهري الشيخ/ محمد عبد الجواد القاياني:

---

١) نفحة البشام في رحلة الشام ص ١٤٧.

(إذا كان أمر المرء إن طال عهده بحكم الفنا في الناس ينسى ويسبح**

فصيره بالتاريخ حيا مخلدا ** ليبقى على طول المدى من يؤرخ)

والله سبحانه أسأل أن يتقبل مني هذا العمل بقبول حسن وأن ينبته في قلوب أهل العلم نباتا حسنا، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفهارس

(أولاً) فِهْرِس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم – جل من أنزله وعلا-.

٢. الأزهر في اثني عشر عاما ، لفضيلة الدكتور/ محمد عبدالله ماضي.

٣. الأزهر في ألف عام، للدكتور أحمد محمد عوف. تقدمة الشيخ عبد الحليم محمود ،الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

٤. المدرسة الأزهرية ، لفضيلة الأستاذ الدكتور/ رشوان أبو زيد محمود

٥. الأعمدة السبعة للشخصية المصرية، ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة،٢٠١٣م.

٦. الأنوار السافرة في أعيان مصر والقاهرة/ لطعمي محيي الدين ، ط/دار الروضة للنشر والتوزيع ٢٠١٣م

٧. الإفادات والإنشادات ، وبعض ما تحملته من لطائف المحاضرات/٣٠٢/ط/دار الحديث، الكتانية،طنجة،المملكة المغربية١٤٣٧هـ-٢٠١٦م

٨. الإشادة والتعريف، بمن بر أباه بالتأليف، ط/ دار الفتح للطبع والنشر ، ط/٢٠١٧م

٩. البحر المديد ، لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ، ط: دار الكتب العلمية ــ بيروت -الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م ــ ١٤٢٣ هـ.

١٠.جمهرة علماء الأزهر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين، لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أسامة السيد محمود الأزهري-حفظه الله- أستاذ

الحديث وعلومه بجامعة الأزهر.

١١.سير أعلام النبلاء لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذَهَبي(ت ٧٤٨) ، تحقيق : مجموعة بإشراف شعيب الأرنؤوط ، ط: مؤسسة الرسالةالطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م.

١٢.شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، ت ١٠٨٩ هـ، ط/ دار الكتب العلمية

١٣.الشيخ الشعراوي من القرية إلى العالمية ، لمحمد محجوب حسن، ط:دار النشر هاتييه، القاهرة،

١٤.صحيح البخاري = الجامع المسند المختصر من أمور النبي ﷺ وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، طبعة : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م. تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق.

١٥.مجمع البحوث الإسلامية تاريخه وتطوره، الناشر الأزهر الشريف ١٩٨٣م

١٦.مصر والمصريون في الحرب والسلم شخصيات وأحداث ٢٠٠ عام، ط/دار الهلال المصرية للتراث الصحفي

١٧.غاية المطالب، في شرح ديوان أبي طالب /ص١٨٣/،ط: مطبعة الشعراوي،طنطا، مصر، ١٩٥٠م

١٨.وخمسون عاما مع شاعر النبي-صلى الله عليه وسلم- ، ط/دار المشكاة للنشر والتوزيع ، طنطا، مصر، سنة ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م،

١٩.فضيلة الإمام الشيخ محمد خليل الخطيب شاعر الرسول-صلى الله عليه وسلم- توثيق وتعريف بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده، إعداد الأحفاد: مصطفى ومحمد وأحمد وياسين ومحمود أحمد الخطيب، والمعجم الأصغر ، لعلماء الجامع الأزهر.

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص البحث	١٤٥
مقدمة	١٤٧
المبحث الأول: لمحة تاريخية عن نشأة الأزهر وتطوره وإحتضانه لأصول العملية التعليمية وتنميتها لتناسب عقول طلبة العلم وقت إنشائه	١٥٥
المبحث الثاني: الشيخ محمد متولي الشعراوي "أنموزجا" لتكامل العلوم الشرعية في خدمة القرآن الكريم	١٧٥
المبحث الثالث: الشيخ محمد خليل الخطيب "أنموذجا" لتكامل العلوم الشرعية في خدمة السنة النبوية	١٨٠
الخاتمة	١٨٦
المصادر والمراجع	١٩٠
فهرس الموضوعات	١٩٢